

٤. شركة العباقرة

(١)

أحلام اليقظة، هي الطريقة الأثيرة لدى سوسن لتسرية أوقات الانتظار الطويلة، خاصة عندما يرتبط هذا الانتظار بعدم فعل أي شيء.. تماما كالصف اللانهائي الذي تقف فيه الآن، بعد مقاومة عنيفة لفكرة الحضور لطلب المنتج الذي يُوزَّع في المصنع الممتد الأطراف.

يقع المصنع الذي يوجد منه الآلاف حالياً، خارج المدينة ببضعة كيلومترات، لتجنّبها الازدحام الجنوبي لطالبي منتج شركة العباقرة المالكة له حيث -حسب ما قرأت سوسن على شبكة المعلومات- لم تتوقف الماكينة التي اخترعتها الشركة عن الدوران لقراءة العقد الآن، وخدمت حسب آخر الإحصائيات قراءة الأحد عشر مليون شخص..

لم يَعتد المجتمع الإنساني على ثورات في علاقات أفرادهِ ببعضهم البعض، حتى أعلنت شركة في نهاية عام ٢١٢٠ - أي من أربعة عشر عاماً - عن استحداث ماكينة غيرت كل شيء في بضع سنوات. لم يُعرف من هو مخترع تلك الماكينة، ولكن أرباح الشركة تصاعدت بشكل جنوني، وبدون أي دعاية، إلا شهادات من جربوها مجاناً، كمرحلة تجريبية استمرت قرابة الثلاث سنوات. لم يصدق أحد ما يعرضه الوحش المعدني ذو الخمسة أمتار ارتفاعاً، والثلاثة أمتار عرضاً من الأصل. حتى عندما ثارت معارك قانونية ودينية جهنمية حول السماح بعمله، لم يكن من خاضوا تلك المعارك يصدقون أيّاً مما تتأثر عن إمكانيات الماكينة (الثورة) كما أُطلق عليها.. ربما لهذا كانت أيديهم لدنة، مرتعشة في مواجهة مجهول يعرض مستحيلاً..

افتراضات وشائعات طال أمدها، وسمحت بتكون رغبة جامحة لدي العامة في المعرفة، ومن ثم التجريب، ومن ثم الطلب، انتهاءً بالطلب الجنوني الذي لم يقف أمامه قانون أو دين.. خصوصاً بعد حروب أعقبت دناءةً وانحطاطاً غير مسبوقين للبشرية؛ أفقدا

الجميع الثقة في أي إيمان أو أي دين، حتى حدثت الحركة الشبيهة بالزلازل، عندما أصبحت الماكينة الثورة على كل لسان..

وجد العالم المنهك نفسه بعد عشرات الحروب، وملايين القتلى في المائة عام الأخيرة، غير قادر على مزيد من المقاومة. وأصبح أمام أمر واقع؛ هو آلاف المصانع بها آلاف من ذلك الوحش الغامض، ينتج نسخاً أفضل، وعشرات الملايين ممن تبقوا من البشر ينظرون إلي شركة العباقرة واختراعها؛ على أنه الأمل الوحيد، والثورة الوحيدة التي يمكن الإيمان بها؛ ثورة تحل المشكلة من جذورها، وإن كان ثمن الحل التحول إلى قاتل..

وصلت سوسن إلى الباب، بعد نحو خمس ساعات من الانتظار في الصف، وعشرات من أحلام اليقظة حول ما قرأته على شبكة الإنترنت عن تاريخ الشركة، والمصنع، وماكينته الجهنمية، وقرارها بتجريبها بعد ست سنوات من المقاومة، وبعد أن تخطى الأمر احتمالها..

وصلت سوسن لمسؤول خدمة عملاء (آلي) منحها ابتسامة وورقة تحمل رقماً، وطلب منها تسجيل بياناتها على الموقع الإلكتروني، وإدخال رقمها الذي نالته لتحديد الموعد. سألت سوسن الآلي عن

الموعد المتوقع لتقوم بدورها المطلوب قبيل استخدام الماكينة، فرد الآلي بعد ثوان معدودة:

- طبقا لحسابات الطلب، والبيانات، والمنطقة، والمقاطعة، وعدد الطلبات المقدمة.. الوقت المتوقع للحضور بالنسخة القديمة خلال: "واحد سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام، بالإضافة لأسبوع كمساحة مرونة لتغير الموعد.. يجب التذكير بأن الدفع يكون قبل شهر من استخدام الماكينة، ولا يرد المبلغ في حالة إلغاء الموعد".

(٢)

فقدت الكرة الأرضية تقريباً ثلاثة أرباع سكانها في حروب المائة عام الأخيرة. لم يعد هناك كفاية من العمالة للزراعة أو الإنتاج أو الصناعة، أو حتى استمرار الحروب. ربما لذلك توقفت آلة القتل؛ حيث لم تعد تجد من تقتله.

الحلول التقليدية: كإجبار البشر على زيادة النسل، وزيادة فترات العمل، لم تعد تجدي، ووجب البحث عن حلول فوق التقليدية، وخارج كل صناديق المنطق، لإنقاذ البشرية من تبعات النقص الحاد فيمن يؤدون المهن الخدمية، والمهن التي تتطلب جهداً، والمهن التي لا تحتاج إلى عقول عبقرية، كملك التي اخترعت

آلات القتل، الفيروسات والغازات القاتلة، وألقتها في الحروب الكيميائية والبيولوجية، التي أتت على أغلب ساكني الكوكب. في نهاية الأمر، وجد العباقرة أنفسهم وحدهم، بدون من ينفذون أفكارهم، بعد أن قتلوهم بها.

بعد اختراع الماكينة الثورة - كما أطلق عليها ما تبقى من الإعلام- والتي لم تحل مشكلة نقص البشر، بقدر ما قدمت حلاً غير تقليدي، لتجنب وجود المجانين الذين دفعوا العالم إلى نهايته من قبل وأدى لأن تنتظر سوسن دورها لاستخدامه، بعد نحو السنة.

توصل العباقرة إلى اختراع آخر، ينتظر ماجد دوره لاستخدامه في عيادة الطبيب، ممناً نفسه بالمبلغ الخرافي الذي ينتظره، فور أن يستخرج ذلك الاختراع منه، مما سيزيد القوة العاملة الخادمة للبشرية واحداً أو أكثر.

مهما كان المبلغ، فسيكون بداية حياة جديدة لماجد، الذي يحتاج بشدة لاستخدام المال؛ لحجز ميعاد مع نفس شركة العباقرة، ولكن على الجهاز الأول؛ لإعادة حياته إلى مسارها الصحيح، بعد خطأ اختياره لزوجته الحالية، رغم سنوات الحب التي

أفضت لزواج دام لبضعة أشهر. ولكنه أضحي تضيقا للوقت بعد أن اكتشف أن زوجته لا تنجب.

تحمل ماجد الزحام، وأسابيع الانتظار، حتى جلس منتظراً دوره في عيادة أحد الأطباء المعتمدين لهذه المهمة التي أصبحت مصدر استثمار لكل من رأى أهوال الحرب، ومر على ما بعدها من تغيرات في المجتمعات التي لم تعد كما كانت...

أصبحت خاوية.. حتى بدأ الناس في عرض الأموال على بعضهم البعض؛ لمجرد تبادل الحديث، والقبلات، والحب، والجنس.. الأبعث أن أحدا لم يقبل بالمال في مقابل سلع فاقدة القيمة، وبشر فاقد الرغبة في مثل تلك السلع؛ فأفلست كل الشركات التي قامت على هذا الاستثمار.. وأصبح المناخ خصبا لتكاثر شيء واحد فقط..

الأشباح..

تحمل ماجد الزحام، وسيتحمل المزيد من الانتظار عندما ينتهي من هذا الأمر، ويبدأ مرحلة التغير في الماكينة الثورة.. ربما ستمنحه الماكينة التي ينتظرها الآن المال، وتمنح البشر عاملاً أو

فنياً أو مزارعاً جديداً في موقف يربح فيه الجميع.. لكن الماكينة الثورة في المرحلة التالية ستمنحه أملاً..

- رقم ٦٨٨ المهندس ماجد خير الدين خضور... تفضل بالدخول..

وكان هذا هو نداء المرحلة الأولى..

(٣)

تقف سوسن أمام الماكينة للمرة الأولى، المرة الأصعب كما أخبرها الجميع على مدار سنة كاملة، انتظرت فيها تلك اللحظة.. الفناء الذي تقف فيه، لو وُصف من نظرة شخص يراه من أعلى، لشابه ذلك الوصف وصف أكبر تجمع للبشر في فناء واسع بمقاييس العالم، منذ نحو مائتي عام، عندما كان البشر يجتمعون بالملايين لثورة أو احتفال أو حتى طقس ديني. الآن هو مشهد طبيعي يتكرر أربعة أيام في الأسبوع، هي أيام عمل ماكينات النسخ المعدلة، التي تنتشر في مناطق متسعة خارج المدن التي تبقت بعد الحرب الكبرى..

سوسن قرأت كتاب التعليمات جيداً، واستمعت إلى الكثير من النصائح، من عشرات من أصدقائها الذين استعملوا هذه الماكينة.

بل إن بعضهم كان من إنتاج الماكينة الثورة وبعده نسخ. تضع يدها في الفتحة لأخذ خزعة جلدية لتمييز بصمتها الجينية، ثم تختار خيار الإدخال "كتابة"؛ كي لا يستشعر ذكاء الماكينة الاصطناعي نبرة البكاء الطبيعية لأي شخص يستخدم الماكينة للمرة الأولى فتوقف العملية.

خيار الإنهاء خيار غير مطروح، خاصة وأن سوسن قد نفذت المطلوب بالفعل والماكينة تضاعف السعر حال كانت الجثة متعفنة، أو مضى على موتها أكثر من شهر. بدأت الماكينة في العمل، وظهر على الشاشة الكبيرة السؤال الأول:

- سبب طلب النسخة المعدلة؟

نظرت سوسن إلى الجوال الملقى إلى جوارها، وارتعشت يداها، وجال في ذهنها أن تمضي لتدفن من قتلت ولا تتابع، لكن فكرة أن الأون قد فات ثبتت يدها قليلاً فكتبت:

- عناد مستمر بدون سبب منطقي إلا الرغبة في لفت الانتباه، تدني في لغة الحوار لا يتناسب مع العمر، غباء وتأخر دراسي، استغناء متواصل، كسل في تحصيل المعلومة، تصرفات

عدوانية متصاعدة، ابتكار في الأذى الجسدي والنفسي لكل من حوله وعيوب جسدية متعددة أخطرها قد يؤثر على التزاوج والقدرة على الإنجاب..

لم تدر سوسن كيف استطاعت أن تكون بهذه الصراحة..؟ خاصة وأنها تتحدث عن ابنها الذي عاشت معه قرابة التسع سنوات. كانت تراه أَمْلاً، وجزءاً منها، ولم تتخيل أن تسجل عيوبه ونقائصه، التي كانت أمها تحكي لها عن جدتها أنهم كن يعشقن نواقص أبنائهن، ويتغنين بكاملهم، ويخفين عيوبهم، بل ويرفضن التحدث عنها.. قطعت خواطرها صوت الماكينة:

- نسبة قبول العيوب كسبب للاستبدال ٧٠%، طلب الاستبدال مقبول ويمكن المضي للخطوة التالية.. عند الرغبة في الاستمرار اضغط التالي..

ضغطت سوسن التالي، فظهر على الشاشة سؤال:

- عمر المستبدل..؟

- كتبت سوسن: ٨ سنوات وستة أشهر..

هنا لم تتمالك دمعها... ثمان سنوات، منها سنوات كان لا يستطيع فعل شيء إلا بمساعدتها، الأكل، الشرب، قضاء

الحاجة... تساءلت للحظة عما إذا كانت النسخة المعدلة من ابنها، ستستجلب نفس ذكريات مشهده وهو يلتقم صدرها ليشبع جوعه، أو مرّات تغير حفاظاته أو أول كلمة نطقها، أو ضحكاته التي عشقتها. أفاقت سوسن على إنذار الماكينة، لها لأنها تأخرت في كتابة التحسينات المطلوبة، وأنه تبقى لها على الماكينة ثمان دقائق فقط. أعادت الماكينة السؤال الأخير:

- التحسينات المطلوبة..؟

هل ستجعل تلك التحسينات حياتها أفضل..؟ هل إنهاء حياة ابنها الوحيد واستبداله بنسخة محسنة حسب الطلب سيمنحها سكينه، يعالج علاقتها بابنها..؟ هل استبداله سيزيح مخاوفها من احتمالات أن يكبر مجرمًا، أو عاقًا أو أنانياً أو عقيماً أو مختلفاً..؟ بالتأكيد اقتنعت سوسن بذلك، وإلا لما كانت هنا أمام الماكينة الثورية، تطلب نسخة معدلة من ابنها الذي لم يعد مناسباً لحياتها التي ترغب فيها.. كتبت سوسن بعد أن أصبحت أقوى -عندما فكرت في تلك الاحتمالات التي دعمتها الكثير من الإشارات التي رأتها في ابنها خلال سنواته القليلة السابقة-

- معالجة ما سبق..

فكرت قليلاً، ولمرة أخيرة.. لقد منحته كل الفرص، حتى عندما قررت استبداله بعد تفكير طويل جداً، واتخذت الخطوة الأولى في طابور حجز الميعاد. منحت لنفسها فرصة أخرى للتفكير، عندما انتظرت قرابة العام قبل الإقدام على الاستبدال، الذي أصبح موضة العالم، وأسهل عملية ضمنها العلم عبر شركة العباقرة التي ابتكرت الماكينة الثورة.

لكن الأمور في السنة التالية زادت من سيء لأسوأ، فلم يعد هناك أي مفر مما فعلته وتنتيه الآن.. تذكرت سوسن أنه يمكنها طلب بعض الكماليات الإضافية فأضافت بسرعة: عINAN خضراوان. ضغطت زر المتابعة، فظهرت علامة رفض الطلب الأخير، لعدم توافقه مع البصمة الجينية.

لم تصدق سوسن نفسها وهي تزيل طلبها الأخير، وتترك الماكينة تقوم بالمعالجة النهائية قبل الخطوة الأخيرة التي يجب عليها أن تقوم بها. لوهلة استنكرت عدم تصديقها، لأن عدم التصديق وأنت تقف أمام ماكينة يستخدمها الملايين يوميا؛ لطلب نسخ معدلة بصفات أخلاقية وخلقية يختارونها بأنفسهم لأبنائهم

وآبائهم ولأقربائهم وأصدقائهم، أو حتى حيواناتهم الأليفة يبدووا مبتدلاً إلى حد ما..

طلبت الماكينة إضافة أي ملاحظات فكتبت سوسن وسط دموعها التي لم تدر لها سبباً: "هل يمكن أن تُمسح غريزة حب الأبناء، والعلاقات التي اعتدناها بين البشر عند القدرة على استبدالهم بنسخ محسنة؟" هنا صدرت إشارة عنيفة من الماكينة وظهرت عبارة: "تم تعيين ملاحظة محظورة، وتم حذف الملاحظة" ثم أشارت لانتهاء العملية، وانفتح على إثر ذلك باب ضخم منزلق في أسفل الماكينة. وظهرت بضعة أسطر تحفظها سوسن جيداً، تشرح شروط الاستبدال التي وضعها العباقرة مخترعو الماكينة الثورية، ويحفظها الملايين.. لا شيء إلا لأنهم لن يلعبوا تلك اللعبة الثورية إلا بتلك القواعد:

١- يجب قتل النسخة القديمة، وإحضارها عند الاستبدال لوضعها في الماكينة.

٢- يراعى في القتل ألا يكون عنيفاً، وعند إتلاف أجزاء من النسخة القديمة، يضاف إلى سعر الاستبدال رسوم تحددها الماكينة إلكترونياً.

- ٣- في حالة الجثث التي قتلت منذ ما يزيد عن الثلاثين يوماً،
يضاف إلى سعر الاستبدال رسوم تحددها الماكينة إلكترونياً.
- ٤- لا يسمح بالاستبدال لنفس النسخة أكثر من ثلاث مرات.
- ٥- توضع النسخة القديمة في البوابة التي تفتح عن انتهاء الإجراءات.
- ٦- استلام النسخة الجديدة، يكون خلال ثلاثة أيام عمل،
ويتم بالبصمة الجينية لطالب الاستبدال.
- ضغطت سوسن على علامة موافق على الشروط، ثم أدخلت كود
التخفيض الذي حصلت عليه من صديقتها التي استبدلت أسرتها
بالكامل مرتين، وأخرجت جثة ابنها من الجوال الذي تحمله
ووضعتها في البوابة التي أغلقت..
- عندها ظهر على الشاشة جملة "عملية ناجحة".

(٤)

لهجة الطبيب المحترفة، الآمرة بالتركيز، أجبرت ماجد على عصر
ذهنه؛ لتذكر ذلك الحلم. كان يعرف بحكم القواعد أنه يملك نصف
ساعة فقط، وإلا أنهى الطبيب الجلسة، وتم حظره ووضعه على

قائمة المشكوك فيهم لمرحلة قد تمتد لسنوات، يُمنع فيها من التقدم لعرض ما يملك للبيع.

ضغط ماجد على ذهنه بعنف، حتى أنه بدأ يشعر بالصداع، ومع كل الأقطاب الموصلة برأسه الذي تم حلق شعره منذ لحظات، بدا الموقف سريالياً، خاصة لو عُرِفَ المنتج المتوقع من هذه العملية..

- بدأنا نحصل على نتيجة.. مزيد من التركيز.

تصاعد صوت ماجد نفسه -في ذهنه- يروي ما يراه، كنوع من الحيل المساعدة التي نصحه بها الأصدقاء مراراً قبل الذهاب لعرض ما يُمكن أن يستخرجه الطبيب بجهازه المبتكر من عالم ماجد الخفي الذي يطارده.. ترددت القصة في ذهنه بقليل من الارتباك:

- أقف أمام النافذة كل يوم محاولاً تكوين صورة للدخان المنتشر في كل مكان، محاولات عنيفة للتركيز، لا تؤدي إلا لتحرك الدخان ليشغل مساحة أصغر.. أصوات الرصاص تنتشر في كل مكان، الصراخ مريع، لكني لا أرى إلا دخاناً فقط.

- موجة أخرى من التركيز، منحتني بضعة ألوان ودماءً تسري حول قدمي، لم أقتل أحداً في الحرب، لكنني كنت قريباً جداً، وشاهدتُ الكثير..

الطبيب يصفق بيده بإيقاع مدروس، ويضغط بضعة أزرار على الماكينة، ثم يلتفت إلى ماجد قائلاً بصوت أقل توتراً:

- بدأت أحصل على تجسد... مزيد من التركيز لنصل إلى المرحلة التالية..

نصيحة كل من استخرجوا من مخاوفهم وأبشع ما يعانون، فرصاً استثمارية ربحوا فيها الكثير من المال، وربح المجتمع إضافة لقوته العاملة كانت: أن يركز في الهدف الذي يريد من أجله المال، في مرحلة بدايات تجسد المخاوف. كان الأمر سهلاً على ماجد، فرغبته في التخلص سريعاً من زوجته واستبدالها بنسخة معدلة تنجب، وتبادل معه أطراف الحديث عندما يرغب في الحديث، والكثير من التحسينات الأخرى التي تدرب على حجب تفاصيلها عن ذهنه كيلاً يراها الطبيب، على شاشة تجسيد الأفكار الملحقه بجهازه؛ لخصوصيتها.

تدرب ماجد فقط على استخدام الشعور المقزز الناتج من تذكر هذه التفاصيل الخاصة، في إذكاء جذوة رغبته في استبدال زوجته - بعد قتل نسختها القديمة طبعاً-

حديث الطيب الحماسي عن اقترابهم من المرحلة الأخير، أذكر حماس ماجد، الذي بدأ يتخيل نفسه بعد قتل نسخة زوجته الحالية مع نسخة أخرى.

ذات الفتاة التي أحبها، ولكن كما يريد هو، لا كما تكون هي. لم يشعر للحظة بتأنيب الضمير لأن هذا ما كانت ستفعله هي - أو أي بشري في تلك الحقبة - لو وُضع في مكانه..

بل ربما فكرت زوجته في أن تستبدله فعلاً، الفارق أنها لا تمتلك - مثله - ما تبيعه لتوفير ثمن الاستبدال. الطيب يواصل العبث بأزرار الجهاز، ويسحب قفصاً زجاجياً شفافاً متصلاً بكثير من الأسلاك:

- مرحلة التجسد الأخير.. لم يبق الكثير.. هيا زيادة تركيز ماجد جعلت الدخان والألوان تتصور وجها.. ارتجافه ماجد الأخيرة أتت بذلك الشبح الذي يزوره يومياً، منذ انتهاء خدمته بالحرب، إلى مجال بصره الآن. الشبح يبدو حزيناً

منهكاً، ليس شريراً أو بشعاً كالأشباح التي حكى له عنها بعض أصدقائه، ممن كانوا في موقفه قبله مع طبيبه، أو طبيب آخر يساعدهم على تجسيد أشباحهم.

مائة عام من الحرب، والويلات والقتل استبدلت الملايين الذين أتت الحرب على حياتهم، بملايين الأشباح التي تطارد من تبقى حياً، حتى غدا من لا تطارده الأشباح، في مرتبة الأولياء.. الشبح يقترب من ماجد وينظر إليه ككل يوم ويقول:

- ماذا تريد..؟

صرخ ماجد:

- بل ماذا تريد أنت..؟ أنت من يطاردني منذ سنوات بلا أي هدف..

ظهر الرعب على الشبح وصرخ:

- أنت من كَوْنَنِي هذه المرة..... لا ابتعد عني...

كانت ملايين الأشباح تهيم في عالمها، وعالمنا يحتضر من قلة الأيدي العاملة، وعليه فلم يكن هناك أكثر عبقرية من تجسيدهم لتعويض هذا النقص.. فكرة خارج أي صندوق ممكن، ولا

تحتاج إلا لعقول كعقول العباقر الذين أنتجوا ما كينة تجسيد الأشباح، كما أنتجوا قبلها ما كينة الاستبدال...
- انتبهنا يا ماجد..

كان هذا هو الطيب، وكان صوته إيذاناً لماجد بالخروج من حالة التركيز، والعودة إلى عالم البشر، ليجد شعباً متجسداً، يتخبط في جداران القفص الزجاجي.

ضغط الطيب على بضعة أزرار فسكن الشبح فجأة، وتساعد في القفص الزجاجي دخان أصفر اللون، وظهرت تحاليل قدرات الشبح على شاشة الجهاز، فط الطيب شفثيه بإحباط لا يفوقه إلا إحباط ماجد وقال:

- الشبح المستحضر من النوع الغبي، الذي يصلح للأعمال الكأبية فقط، أو العمل كعمالة غير ماهرة..

سجل الطيب بضع ملاحظات ووقع على الشيك الخاص بماجد وناولاه إياه..

ذهن ماجد مازال يعمل قائلاً: رغم توقعي للكثير من المال، إلا أن ما سأحصل عليه طبقاً لجدول أسعار الأشباح يكفي لعملية الاستبدال. لن يتبقى الكثير من المال، إلا ربما لشراء طاولة

جديدة للصالون، أو عشاء فاخر مع زوجتي بعد استبدالها.. أنا
أحب هذا العالم حقاً.....
أسكت صوت الطبيب ذهن ماجد عندما قال:
- التالي..

تمت...